الفصل الثاني

مراحل تطور الاتصال (•)

يعتبر الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني – كما سبق ذكره – وتلعب أنواع الاتصال المختلفة (لفظي وغير لفظي .. ذاتي وشخصي .. جمعي وعام .. وسطي وجماهيري) دورًا كبيرًا في حياة كل شخص، وتؤثر على كل فرد بشكل أو بآخر. وسيرة حياة الإنسان اليومية: إما القيام بالاتصال (Communicating) أو تلقي الاتصال (Being Communicated)، كما يعد الاتصال من السمات الإنسانية الأساسية البارزة، سواء أكان في شكل كلمات أو صور أو موسيقى، وسواء أكان اتصالا ظاهرًا أو مستترًا، إعلاميًّا أو إقناعيًّا، مخيفًا أو مسليًا، واضحًا أو غامضًا، مقصودًا أو عشوائيًّا، داخليًّا أو مع آخرين .. فالاتصال هو القناة التي تربطنا بالإنسانية، ويمهد لكل ما نقوم به من أفعال، وهو لا يعني مجرد توجيه رسالة من طرف إلى آخر (البث، النشر، الإرسال) من جانب واحد، بل لابد أن يتلقى الطرف الأول ردًّا فوريًّا أو مؤجلا على رسالته، وأن تستمر الردود مع استمرار توجيه الرسائل، فإذا انقطعت الردود أصبحت الرسائل بثًّا أحادي الاتجاه.

إن قدرتنا على نقل كم هائل من الرسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، مع تجاوز حدود الزمان والمكان إلى ملايين البشر في الوقت نفسه (الانتشار)، أصبحت أمرًا مألوفًا لا يثير انتباه

(•) راجع في هذا الصدد – بصفة أساسية – كتب: الاتصال ونظرياته المعاصرة، مرجع سابق، ص91 وما بعدها؛ وكذلك مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، مرجع سابق، ص11 وما بعدها؛ وكذلك محمد فريد محمود عزت: وسائل الإعلام السعودية والعالمية – النشأة والتطور (جدة، دار الشروق 1999)، ص13 وما بعدها. وله كذلك وسائل الاتصال الجماهيرية (القاهرة – بدون – عام 2009)، ص 2 وما بعدها.

الكثيرين، مع أنه يمثل تغييرًا كبيرًا في سلوك الاتصال الإنساني عند مقارنته بما كان سائدًا في العصور القديمة .. ويمكن القول إن تراكم وسائل الاتصال عبر التاريخ هو تاريخ الإنسان الطويل منذ فجر التاريخ للآن؛ فلقد كانت كل وسيلة اتصال جديدة يبتكرها الإنسان هي بمثابة تعبير عن حاجة اجتماعية ملحة، تمكن الإنسان من التطور والرقي.

وعلى الرغم من أن الخبرة السابقة لا تعد دليلا أكيدًا للمستقبل، إلا أن هناك فائدة كبيرة من التطلع إلى الماضي؛ لاستعراض ما حدث في العصور القديمة، أدت إلى جعل الإنسان قادرًا الآن على الاتصال بوسائل متباينة للغاية، ولتفسير المراحل المتميزة لتطور الاتصال الإنساني؛ حيث كان لكل مرحلة من هذه المراحل نتائج عميقة، سواء أكان ذلك على مستوى الفرد أم المجتمع .. فعلى الرغم من أن الاتصال بشكله الراهن يمثل ظاهرة من ظواهر القرن العشرين الماضي، فإن جذوره ضاربة في أعماق التاريخ والماضي البعيد، وكان لكل زمان ولكل مكان اتصال يختص به وأساليب اتصالية، توافق ظروفه وقدراته وثقافته ووظائفه وأغراضه، وتتمشى مع غاياته وأهدافه، وإن اختلفت أساليب ووظائف الاتصال في العصر الحديث.

فقد كان المصريون القدماء يتقنون الاتصال بالقدر الذي سمحت به ظروفهم وإمكاناتهم، وكان ملوكهم يسجلون القوانين المتعلقة بالضرائب وشئون الري وإجراءات التقاضي والعقوبات، وما شاكل ذلك من أمور، وتحفل أوراق البردي التي خلفها الفراعنة وراءهم، كما تحفل النقوش التي تزين جدران معابدهم القديمة، بمعلومات وإرشادات مهمة، يمكن وصفها بأنها أشكال متقدمة نسبيًّا من الاتصال. كذلك أقاموا الأهرامات، وشيدوا المعابد الضخمة، ليس للاحتفاظ بجثثهم، والقيام بمراسيمهم الدينية فحسب، بل ليسطروا على جدرانها انتصاراتهم في الحروب. ويروي التاريخ أيضًا أن الفراعنة القدماء عرفوا ما يشبه الصحافة من سبعة وثلاثين قرنًا من الزمان، وكانوا يدونونها على أوراق البردي، وهي بمثابة الصحف في عصرنا هذا، فظهرت عندهم جريدة (القصر)، وهي الجريدة الهزلية التي تحدث عنها المؤرخ المعروف هيرودوت.

وقد وجد علماء الآثار في العراق نشرات ترجع إلى سنة 180 قبل الميلاد، ترشد الزراع إلى كيفية بذر محاصيلهم وريها، وعلاجها من الآفات، وهذه النشرات تشبه – إلى حد كبير – النشرات التي توجهها وزارات الزراعة في الدول المتقدمة.

وفي العصر الروماني كان الاتصال ممثلا في الخطابة والمناقشات والملاحم، التي تروي بطولات الحروب في جو حماسي .. وكان الإسكندر الأكبر يدرك أهمية الاتصال وطرق التأثير، ولهذا كان يصطحب في ركابه مجموعة من الشعراء والكتاب والمفكرين .. وفي العصر الروماني كانت تصدر في روما صحيفة (الحوادث اليومية) في أيام يوليوس قيصر، وتحتوي على كثير من الأخبار المتنوعة والنشرات الحكومية، وكانت تعلق في الميادين العامة؛ ليقرأها المواطنون.

وفي الجزيرة العربية كان للاتصال مظاهر عديدة ووسائل بدائية بسيطة، منها (دقات الطبول)؛ إعلانًا للحروب، أو إعلامًا لأفراد القبيلة بأمر يعنيهم، كما كانت (الساحات والمنتديات والأسواق وحلبات السباق)، التي يلتقي فيها الناس، فيتبادلون الأحاديث والأخبار، ويعرف كل واحد منهم خبر أخيه، وأخبار مجتمعاتهم، والمجتمعات المحيطة بقبيلتهم. كذلك كان (النداء) مظهرًا من مظاهر الاتصال؛ حيث يجوب المنادون أرجاء الجزيرة العربية، يعلنون عن الأحداث المهمة، وكانت (دار الندوة) في مكة المكرمة مجتمعًا لقريش قبل الإسلام؛ حيث كانت قريش تعلن الحرب منها، ويعقد فيها اللواء لمن يختار لقيادة المعارك. وقامت (الأسواق) كذلك بدرو مهم في الاتصال؛ ففيها كانت تفض المنازعات، ويفد إليها الرواة لنقل الأخبار، ثم يعودون بما نقلوه، فينشرونه بين أهليهم وعشيرتهم، وكان الشعراء يعرضون أشعارهم على المحكمين في الشعر، من أمثال النابغة الذبياني وغيره، وكانت القبائل تتفاخر بشعرائها، وتحظى القصيدة الفائزة بشرف التعليق على الكعبة في عداد المعلقات المشهورة .. كذلك من مظاهر الاتصال بين العرب في الجزيرة العربية وغيرهم من الأمم، البعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب؛ تدعو إلى دينها وتعاليمه، وقد تركز اليهود في يثرب (المدينة المنورة)، واعتنق اليهودية عدد من القبائل؛ كبني قريظة وبني النضير، أما البعثات النصرانية فقد تركزت في نجران، وكانت على اتصال كبير بالحبشة؛ لاتفاقهما في الديانة النصرانية.

وفي العصر الإسلامي أبقى الإسلام على بعض وسائل الاتصال التي كانت سائدة في العصر الجاهلي في الجزيرة العربية، لكنه قام بتعديل مسارها، وتطوير أهدافها؛ لخدمة الدعوة الإسلامية، ولتتفق مع الدين الإسلامي الحنيف، فأبقى الإسلام على القصيدة الشعرية، ووجهها لخدمة الدعوة الإسلامية والذود عنها، بدلا مما كانت عليه في العصر الجاهلي؛ حيث

كانت مجالا للتفاخر بالأحساب والأنساب والسيطرة والظلم والاستبداد، وقد برز عدد من الشعراء الإسلاميين، أسهموا إسهامًا فعالا في الدعوة الإسلامية وحماية الدين الإسلامي، مثل حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وقد وصف القرآن الكريم الشعراء بقوله:

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

كذلك أبقى الإسلام على وسيلة الخطابة، فكانت خطب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده خطبًا خالدة، وكانت مضرب الأمثال في عظمة الفكرة والمعنى، والقدرة على تطويع الكلمة لخدمة الإسلام.

ولا شك في أن القرآن الكريم كان هو الوسيلة الأولى للإعلام عن الدين الإسلامي؛ حيث استطاع القضاء على تراث أجيال الوثنية والجهل والخرافات وكثرة الحروب والتطاحن، وأقام جيلا جديدًا، يختلف في قيمه ومفاهيمه - كل الاختلاف - عن المجتمع الجاهلي، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

كذلك كانت الأحاديث النبوية وسيلة مهمة للإعلام بالدعوة .. وأدت الرسائل التي بعث بها - عليه الصلاة والسلام - إلى ملوك فارس والروم ومصر وغيرهم، دورًا مهمًّا في مجال الإعلام بالدعوة .. وكانت الغزوات أيضًا لها دور مهم في نشر الدعوة؛ فلم يكن هدفها الاعتداء ولا السيطرة، بل كانت تهدف إلى نشر الإسلام وتعاليمه وتأمينه من الداخل والخارج.

كل هذه الأمور وغيرها كانت تعتبر وسائل مهمة من وسائل الاتصال، ومظهرًا أساسيًّا من مظاهره في عهد الرسول ﷺ.

أما الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد ساروا على المنهج نفسه الذي سار عليه رسول الله ﷺ، وركزوا إعلامهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة والفتوحات والرسائل إلى الملوك، ونهج من جاء بعدهم من الخلفاء والملوك المنهج نفسه.

وفي العصور الوسطى والانتقالية، عرفت أوربا أشكالا مختلفة من الاتصال؛ فالحروب والخصومات التي كانت تنشب بين الدول الأوربية في ذلك الوقت، فرضت على الحكام أن يستعملوا جميع الوسائل التي تحقق لهم النصر على أعدائهم. ومن هذه الوسائل: الخطابة في الندوات والاجتماعات، وتبادل الأخبار والمعلومات؛ حتى يكسبوا أكبر عدد من الجماهير.

من كل هذا نخلص إلى أن الاتصال ظاهرة اجتماعية، نشأت منذ أقدم العصور في شتى المجتمعات، سواء أكانت مجتمعات فجر التاريخ أو المجتمعات البدائية أو العصر الجاهلي في الجزيرة العربية، ثم تابعت مسيرتها إلى العهد الإسلامي، فالعصور الوسطى والانتقالية، وهكذا إلى عصورنا الحديثة الحاضرة.

مراحل الاتصال الستة:

إن تطور الاتصال عبر تاريخ الإنسان الطويل قد مر في ست مراحل رئيسة مهمة:

1- مرحلة عصر الإشارات والعلامات.
2- مرحلة عصر التخاطب واللغة.
3- مرحلة عصر الكتابة.
4- مرحلة عصر الطباعة.
5- مرحلة عصر الاتصال الجماهيري.
6- مرحلة عصر الاتصال التفاعلي.

على أنه لا ينبغي أن يقوم التمييز بين هذه المراحل الستة على تعسف زمني، يجعلنا نحكم أنه عند تاريخ معين تنتهي مرحلة لتبدأ مرحلة أخرى؛ حيث إن كل مرحلة منها لها سماتها وتأثيراتها، والتي جعلتها عصرًا متميزًا عن غيره من العصور.

ومن البديهي أن نذكر أن كل مرحلة من هذه المراحل لم تنته؛ فما زلنا نستخدم كل الأشكال الاتصالية التي وجدت في هذه العصور جميعًا إلى الآن .. وفي بعض الأحيان لم يكن تطور حقب الاتصال يمضي وفق هذا التسلسل الذي عرضنا له؛ ففي بعض المجتمعات لم تكن هناك حاجة لمرحلة بأسرها؛ ذلك أن ظهور أي وسيلة اتصال كان مرتبطًا بحاجة المجتمع إليها - كما سبق إيضاحه.

فعلى الرغم من أن أسلافنا الأوائل استخدموا العلامات والإشارات منذ وقت مبكر، فإننا مازلنا نستخدم هذه الإشارات والعلامات على نطاق واسع، ثم أضفنا إليها اللغة

والكلام والكتابة والطباعة ووسائل الاتصال الميكانيكية والإلكترونية؛ وهكذا فإن تاريخ الاتصال الإنساني عبارة عن حلقات متصلة ومركبة من أنظمة الاتصال، وليس مجرد انتقال من مرحلة إلى أخرى.

وفيما يلي استعراض سريع لكل مرحلة من تلك المراحل الستة الرئيسة التي مر بها التاريخ الاتصالي للإنسان منذ فجر التاريخ إلى الآن:

المرحلة الأولى: عصر الإشارات والعلامات:

لم يستطع أحد الوصول إلى أول الكلام البشري (Human speech)، وتفترض معظم التخمينات أن البشر كانوا يعيشون في تجمعات صغيرة منذ ملايين السنين .. وفي وقت ما بدأوا يستخدمون أدوات بسيطة، وتخصيص المهام في العمل، وحتى في هذه الفترة يفترض أن الاتصال قام بدور رئيس في تحديد المهام؛ لتنشئة شبابهم كما نفعل نحن اليوم.

والاحتمال الأرجح أن الإنسان البدائي مارس الاتصال من خلال عدد محدود من الأصوات التي كان قادرًا من الناحية الجسمية والطبيعية على إصدارها، مثل: الهمهمات والزمجرة والصراخ، بالإضافة إلى إشارات الجسد بالأيدي والأرجل، وغيرها من الحركات. وتشير الدلائل على أن الأساليب التي استخدمت في الاتصال مع الآخرين هي ذاتها التي تستخدم في الاتصال مع أنفسنا؛ حيث إن التفكير شكل داخلي من أشكال اللغة.

المرحلة الثانية: عصر التخاطب واللغة:

يبدو أن اللغة أو التخاطب قد ظهرت في وقت ما خلال الفترة ما بين 35 – 40 ألف سنة مضت، بين مخلوقات تشبه الجنس البشري الحالي من الناحية الجسمية، يطلق عليها اسم (إنسان الكرومانيون Cromanion)، الذي عثر على بقاياه في كهف كرومانيون بفرنسا.

وبدأ إنسان الكرومانيون في نحو عام 6500 قبل الميلاد حياة الزراعة الدائمة والقرى المستقلة، واتسع نطاق التجمعات السكانية، وكانت منطقة الهلال الخصيب (مصر والعراق وسوريا وتركيا) تعج بالمدن القديمة، وبقايا حضارات ما قبل التاريخ. ولم يتعلم الناس فقط العمل في الزراعة وتربية الحيوانات وعبادة الآلهة، ولكنهم ابتكروا أساليب جديدة لاستخدام المعادن والنسيج وصناعة الفخار، وأصبحت لغة التخاطب أكثر تنوعًا؛ مما ساعد على انطلاقات كبرى في التطور الإنساني بالنسبة للأفراد والمجتمع.

فقد ساعدت اللغة على تمكن الجنس البشري من التأقلم مع بيئته الطبيعية والاجتماعية بوسائل لم تكن مطروحة في عصر الإشارات والعلامات، وانتقلت مجتمعات عديدة من أسلوب حياة الصيد وجمع الثمار إلى تطوير حضارات كبرى، وكان من المستحيل أن يتم ذلك بدون اللغة، إلا أن اللغة ذاتها ارتبط تطورها بتعقد الاحتياجات البشرية .. ويرى علماء الأنثروبولوجيا أن اللغة البشرية ربما تكون قد بدأت كنظام للتنادي (Call -System) – شأن كل المخلوقات – حيث توجد لديها وسائل لنقل الرسائل بينها؛ فالحيوانات تطلق أصواتًا معينة في مواقف محددة لا تتغير ولا تتبدل؛ فالسلوك الصوتي عند الشمبانزي – مثلا – يتميز بالثبات في مواقف الخوف أو الزواج أو الإرشاد عن الطعام، ولا يتغير زمانًا أو مكانًا. والصيحات عند الحيوانات مقفلة (Closed) ومحدودة العدد، أما اللغة البشرية فهي مفتوحة (Opened)؛ فعدد الرسائل التي يمكن نقلها غير محدودة، وأصوات اللغة ليس لها معنى محدد ثابت، وكلما ارتاد الإنسان مجالا جديدًا استوجب ذلك تغيرًا ملائمًا في أدواته الاتصالية، بينما الحيوان ظل نظامه الصوتي ثابتًا لا يتغير.

وقد استغرقت هذه المرحلة معظم التاريخ البشري، وكانت السمة الرئيسة لها هي الفردية الاتصالية؛ حيث بدأت من العصور القديمة حين عرف الإنسان عملية تبادل المعلومات. فمن الثابت أن الإنسان البدائي كان يحكي لأقرانه عن مغامراته في الصيد، وانتصاراته وخبراته في الحرب، والدفاع عن النفس، وإبلاغ الرعية أوامر الحكام، وإعلان حالة الحرب أو السلم، أو الاحتفال بمناسبة دينية، أو زواج حاكم أو وفاته، أو سقوطه وتنصيب غيره ... إلخ.

ولا شك أن المجتمعات البشرية في تلك المرحلة كانت لها وسائلها الاتصالية التي تناسبها، وكان في مقدمة هذه الوسائل الهواء، الذي ينقل صوت المتحدثين إلى آذان السامعين؛ حيث لم تكن حاجة الإنسان الاتصالية قد تخلت عن بدائيتها، وكان الحديث كافيًا لإشباع هذه الحاجة.

وقد اقتصرت عملية الاتصال في تلك المرحلة على الوسائل السمعية والصوتية والبصرية، عن طريق المنادين الذين يجوبون أماكن التجمعات البشرية. وكانت أغلب هذه العمليات الاتصالية محدودة بالمواقف المواجهية (Face to Face)؛ حيث كان في مقدور الفرد أن

يخاطب جمعًا من الناس إذا ما قدر لهذا الجمع أن يجتمع في مكان واحد وزمان واحد .. إلا أن هذه الفردية الاتصالية لم تمكن الإنسان من نشر أفكاره بشكل فعال عبر المكان؛ حيث لم يكن يستطيع أن يتصل إلا إلى الحد الذي يمكن لصوته أن يصل إليه، ثم أدرك الإنسان - بعد ذلك - أنه لكي يستطيع توسيع دائرة اتصاله، كان عليه أن يلجأ إلى وسائل أخرى، مثل قرع الطبول، والنفخ في الأبواق، وإشعال النيران في الليل والدخان بالنهار، وما أشبه ذلك من الوسائل البدائية البسيطة، التي ناسبت ذلك الزمان، ووافقت ظروفه، وحققت أغراضه، ووسعت من دائرة الاتصال.

ولقد تزايد احتياج الإنسان لوسائل اتصال يعتمد عليها بتعقيد المجتمع الذي يعيش فيه؛ ففي الوقت الذي كان نشاط الإنسان يتم في نطاق محدود من المكان، مثل القرية أو مضارب القبيلة، فإن المدى الذي يمكن أن يصل إليه صوت الإنسان كان كافيًا للتعامل مع مشكلات الإنسان الاتصالية، ولكن مع تعقد التنظيمات الاجتماعية للأغراض التجارية أو العسكرية أو الحكومية، فإن الجماعات البشرية واجهتها - بشكل مستمر - مشكلة تنسيق نشاطها دون وسائل فعالة تعتمد عليها لنقل المعلومات بسرعة عبر المسافات الطويلة.

وقد أثبت الإنسان براعة فائقة عبر التاريخ؛ فالناس في كل عصر قد أظهروا مقدرة ملحوظة على الأخذ بتكنولوجيا عصرهم - إن جاز هذا التعبير - وطبقوها بطرق تناسب حل مشكلات حياتهم العملية .. والمشكلة التي واجهت الإنسان هي مشكلة الاتصال لمسافات بعيدة، وقد تغلب العسكريون مثلا على هذه المشكلة باستخدام قمم الجبال والتلال؛ لنقل شفرات اتصالية متفق عليها، عن طريق الشعلات النارية.

وإن كلمة تلغراف (Tele Graph) ذاتها مأخوذة عن اليونانيين قبل مولد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنحو ثلاثمائة عام، ومعناها (يكتب لمسافة ما) .. وكان الإنسان قادرًا على صنع الطبول من خشب الأشجار وجلود الحيوانات، وكان قادرًا على قهر المسافات باستخدام الحمام الزاجل، والمرايا العاكسة، وطلقات المدافع، وأضواء المنارات. وكل هذه الأدوات وغيرها استخدمها الإنسان للتغلب على المسافة والزمن، إلا أن تقنيات الاتصال الأولي كانت محدودة إلى حد بعيد، ومعظمها كان ثقيلا مزعجًا، ولا يمكن الاعتماد عليه بشكل تام؛ فالكثير منها اعتمد على وجود طقس صحو، والآخر يمكنه فقط نقل رسائل مبسطة جدًّا.

وفي عصور متأخرة توصل الإنسان إلى نظم اتصالية جديدة، أكثر قدرة على تلبية حاجاته المتغيرة، كانت كلها تعتمد - بشكل أو بآخر - على وجود خط رؤية بين المرسل والمستقبل. وعبر سلسلة من المحطات، أمكن للإنسان أن ينقل رسائل أكثر تعقيدًا عبر مسافات طويلة.

ففي خلال فترة انتشار الفتح الإسلامي مثلا كان المسلمون ينشئون المنارات المرتفعة على مسافات تمكن المرسل والمستقبل من رؤية كل منهما للآخر، وذلك على امتداد المسافات بين الثغور على أطراف الدولة إلى عاصمة حكمها، وعلى سبيل المثال كانت الرسالة تصل من أطراف الدولة بالمغرب على طول الساحل الشمالي الأفريقي إلى الإسكندرية في أقل من ليلة واحدة. وفي قمة قوة نابليون بونابرت، كان لدى فرنسا (224 محطة سيمافور)، تنتشر عبر أكثر من ألف ميل. وكان هذا النظام أكثر أدوات الاتصال دقة واستخدامًا؛ حيث ترسل هذه المحطات إلى بعضها بعضًا إشارات يمكن رؤيتها وتفسيرها بواسطة شخص آخر في برج آخر يقع على بعد عدة أميال، وهو بدوره ينقل هذه الإشارات إلى برج آخر، وهكذا.

وبالرغم من أن هذه الطريقة كانت مكلفة ومرهقة، إلا أنها ظلت تستخدم في العديد من الدول الأوربية إلى أن حل محلها التلغراف الكهربائي .. وما تزال بعض السفن في عرض البحار تستخدم نظام السيمافور حتى أيامنا هذه، إذا ما فقدت أجهزة الراديو (اللا سلكي) في السفينة.

ولكن مع ذلك، فإن هذه الفردية الاتصالية، لم تمكن الإنسان في تلك الحقبة من نشر أفكاره بشكل فعال عبر المكان، كما لم تمكنه أيضًا من الحفاظ على أفكاره بدقة عبر الزمان، وكان ذلك تعبيرًا عن تعقد حاجة الإنسان الاتصالية، ومن هنا بدأت محاولات الإنسان تجاه الكتابة، وهذا ما ينقلنا للحديث عن المرحلة الثالثة من مراحل تطور الاتصال.

المرحلة الثالثة: عصر الكتابة:

ارتبطت هذه المرحلة بمعرفة القراءة والكتابة؛ ففي فترات متباعدة من التاريخ قبل الميلاد، تم التوصل إلى وسائل فعالة لترجمة الحديث إلى شكل مادي، بدءًا من حفظ شفرات (codes) بدائية في ذاكرة الإنسان، ومرورًا بالكتابة التصويرية (pictographic symbols) (Picture writing)، وأخيرًا الكتابة الهجائية الألفبائية، التي يمكن تحديد تاريخها بالألف الأول قبل الميلاد في منطقة الشرق الأدنى القديم.

إن قصة الكتابة هي قصة الانتقال من الكتابة التصويرية عن طريق الصور والرسومات المعبرة إلى الكتابة الرمزية، التي تستخدم حروفًا بسيطة للتعبير عن أصوات محددة، ثم الكتابة الألفبائية، وذلك على النحو التالي:

1- الكتابة التصويرية:

كانت الرموز التصويرية هي الخطوة الأولى في تطور الكتابة، ولكنها لم تبدأ إلا بعد استقرار نظام الزراعة؛ لتسجيل حدود الملكية والبيع والشراء، والتنبؤ بسلوك نهر النيل؛ حيث كان الفيضان يغرق مساحة كبيرة من الأرض الزراعية كل سنة ويزودها بالطمي. واكتشف المصريون أن هناك نجمًا يتوافق ظهوره مع فترة الفيضان، وجعلهم ذلك يطورون نظامًا لتحديد الأيام والشهور والأعوام من خلال النجم والشمس؛ فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام.

ولعل ظهور الأشكال البدائية من الكتابة قد تم بعد تطور اللغة إلى حد أصبح من الممكن معه كتابتها. وبعد ذلك تطورت الكتابة مع اللغة ذاتها؛ حيث هي كائن حي يتطور، وتعتبر القيمة الحقيقية للكتابة هي في أنها أوجدت لدى الإنسان القدرة على أن يحفظ عبر الزمان، ويوزع عبر المكان، سجلات مادية للاتصال أكثر فعالية من الحديث والكلام الذي كان سائدًا في المرحلة الشفهية السابقة. وكانت الكتابة التصويرية تزين القبور والمعابد والآثار، وبعد زيادة تبسيطها خرجت منها الكتابة الهيروغليفية (Hieroglyphic Writing)، ومنذ نحو ستة آلاف سنة بدأت النقوش المعبرة عن معانٍ في مصر ومملكة ما بين النهرين، كانت عبارة عن صور بدائية محفورة على الجدران والأسطح في صيغ اصطلاحية متفق عليها .. شروق الشمس يعني اليوم .. القوس والسهم يعني الصيد .. الإنسان يعني الرجل .. الخط المتعرج يعني بحيرة أو نهر .. والربط بين عدة رسومات يحكي قصة. وكان نظام الكتابة التصويرية لدى المصريين القدماء يشبه اللغة الصينية المعاصرة .. فكل رمز كان يمثل فكرة معينة أو شيئًا محددًا، وكان يتعين على الشخص الذي يكتب ويقرأ التمكن من عدد كبير من هذه النماذج والرموز، وكانت مهارات القراءة والكتابة قاصرة على المتخصصين والصفوة، واستمتعوا بحماية الحكام والكهنة؛ فقد كان وجود هذه المهارة مصدرًا للقوة والنفوذ والسلطان؛ فلم يكن عامة الناس يستطيعون القراءة أو الكتابة، وظل الأمر حكرًا على صفوة تمتعت بالنفوذ بين أفراد المجتمع، ولربما ما نزال نجد بعض أشكال هذا النفوذ يتمتع به الذين لديهم هذه المهارة في المجتمعات التي تنتشر بينها الأمية في العصر الحاضر.

2- الكتابة على أساس النطق (الرمزية) Ideographic:

طور السومريون (العراقيون) نمطًا آخر من الكتابة التي تعتمد على الرموز التي تعكس أصواتًا محددة. ففي حوالي عام 1700 قبل الميلاد توصلوا إلى فكرة أن يعبر رمز صغير عن صوت محدد، بدلا من أن يعبر عن شيء أو فكرة. فبدلا من آلاف الرموز المنفصلة، أصبح المطلوب عدد أقل من الرموز؛ للتعبير عن أصوات المقاطع التي تتكون منها الكلمات، وكان ذلك بداية تطوير الكتابة الصوتية، وتسهيل معرفة القراءة والكتابة، وأصبح على المرء أن يتذكر مائة رمز فقط لمعرفة مختلف المقاطع الصوتية في اللغة.

3- الكتابة الهجائية الألفبائية (التي تعتمد على الحروف):

ظهرت منذ حوالي 700 عام قبل الميلاد، وانتشرت بسرعة في أنحاء العالم القديم .. وتعتمد على استخدام رموز الحروف للتعبير عن الأصوات، بدلا من المقاطع الصوتية، ونقص عدد الحروف إلى أقل من مائة رمز .. واليوم لدينا 26 حرفًا هجائيًّا في الإنجليزية و 28 حرفًا في العربية، ولولا حروف الكتابة هذه لظلت الغالبية العظمى من سكان العالم تعاني من الأمية.

الوسائط المحمولة لنقل المعلومات:

وفيما يتعلق بالكتابة ومرونة وسائل الاتصال وتداولها في هذه المرحلة التي نحن بصددها، خضعت الوسائل المستخدمة في الكتابة لتطورات كبيرة، فكانت الأحجار أول وسيط يتم تسجيل المعلومات عليه عند قدماء المصريين، والكتابة على جدران المعابد، واستخدم السومريون بالعراق لوحات الطين، واستخدموا طرف عصا ذات سن مدبب؛ لعمل العلامات على الطين، وهي الكتابة المسمارية Cuneiform، وهو الذي تعرف به الآن، وتحولها إلى ما يشبه الفخار، بوضعها في النار .. وبذلك تعتبر الأحجار هي الوسيلة الأولى التي حفظت رسومات الإنسان الأولى وكتاباته. وبالرغم من قدرة هذه الأحجار على البقاء عبر الزمان، فإن حركتها عبر المكان لم تكن سهلة ولا ميسورة؛ فقد كانت المشكلة هي عملية حمل الرسالة المكتوبة على الحجر، ونقلها من مكان إلى آخر .. فالحجر وإن كانت لديه القدرة على التحمل عبر الزمان، إلا أنه كان من الصعب نقله عبر المسافات.. وبتعقد الحياة في المجتمعات القديمة، أخذ الإنسان يبحث عن وسيلة جديدة، تمكنه من نقل رسائله الاتصالية

بمرونة أكثر عبر المكان؛ ولذلك أخذ في الكتابة على الجلود والعظام والألواح الخشبية، وغيرها.

ورق البردي:

وفي حوالي عام 2500 قبل الميلاد، توصل المصريون القدماء إلى طريقة صنع ورق البردي، الذي إذا قورن بالحجارة، فإنه يعد شيئًا خفيفًا ومرنًا إلى أبعد الحدود، ومن السهل الكتابة عليه بالفرشاة والحبر، بدلا من النقش على الحجر بالأزميل .. وكان من الممكن عمل لفات طويلة منه، بربط كل شريحة بالأخرى.

وفي الطرف الآخر من الكرة الأرضية، حدث تحول مماثل في وسائل الاتصال وطبيعتها عند حضارة قبائل (المايا) في هندوراس في أمريكا الوسطى، وهم من الهنود، وهي من أعظم حضارات أمريكا قبل الكشف الكولمبي .. فقد اكتشف هؤلاء قطعًا مستطيلة من اللحاء الملون، يمكن انتزاعها من أشجار (الفيكس Ficus)، وهي قطع طويلة ونظيفة من اللحاء الداخلي، بعرض 15 – 30 سم، وطولها نحو ستة أمتار. وبعد معاملات بدائية، فإنه يمكن طيها، مثل آلة الأكورديون، وتستخدم للكتابة عليها، وكانت لديهم مكتبات كاملة منها.

أما صناعة الورق: فقد عرفتها الصين، وتعلم العرب فن صناعته من الصينيين في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي. وانتشرت مصانع الورق في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (786 – 809م) في بغداد، وغيرها من مدن العالم الإسلامي. وانتقلت هذه الصناعة في القرن الحادي عشر الميلادي إلى مصر، وأدخله العرب إلى الأندلس، وكانت مدينة طليطلة أول مدينة أوربية تعرف صناعة الورق.

هذا التحول في تاريخ الإنسان من الحجر إلى نوع من الورق سهل الحمل مرن الحركة، أدى إلى تغير هائل في ثقافة ونظام المجتمعات القديمة؛ ذلك أن تكنولوجيا الاتصال الجديدة المتمثلة في الورق وأدوات الكتابة الملائمة للاستخدام مع الورق – حيث حلت الأقلام البوص محل الأزميل – كل ذلك فتح الطريق أمام تغيرات اجتماعية وثقافية جديدة .. ففي مصر الفرعونية استخدمت الإدارة المركزية جيشًا من الكتاب؛ حيث أصبح استخدام هذه التكنولوجيا الجديدة استخدامًا عامًّا في نقل الأوامر، وتسجيل المعرفة من كل نوع، وأصبحت الكتابة بابًا مفتوحًا على الثراء والمكانة الاجتماعية؛ فالكتاب في مصر الفرعونية أصبحوا طبقة متميزة في ظل الصفوة المالكة، وتصور رسومات الفراعنة جلوس الكاتب

عند أقدام الفرعون، يكتب ما يمليه عليه .. وقد فتحت مدارس عديدة في مصر القديمة لتخريج الكتبة.

ولعل التأثير الأكبر للوسائل الجديدة – مثل الورق مع تطور الكتابة ذاتها – هو تخلص العقل البشري من عبء ضرورة تذكر كل شيء، وإعادة تلاوته ليبقي حيًّا في ذاكرة الأجيال التالية .. فحيث لا توجد الكتابة، كان يتعين على العقل البشري أن يحتفظ بكل المعارف في ذاكرته، وينقلها لغيره؛ ليحتفظ بها بدوره .. هذا الشكل من الاتصال المعرفي، أفقد الإنسان الكثير من المعارف السابقة؛ لأسباب عديدة، منها موت كبار السن الذين يختزنون في عقولهم تراث الجماعة ومعارفها وتجاربها، وضعف الذاكرة البشرية في مقابل السجلات المكتوبة.

هذه الظاهرة ما تزال موجودة حتى الآن لدى بعض الثقافات البدائية الشفهية التي تفتقر إلى لغة مكتوبة .. فعند قبائل الماندنج مثلا يعهد إلى كبار السن منهم اختزان المعرفة ونقلها من جيل إلى آخر، وهؤلاء يسمونهم (Griots)، وكما يقول أحد خبراء الشئون الأفريقية: "إن موت واحد منهم يعني احتراق مكتبة بأكملها". ورغم ذلك، فإن الكثير من تراث الماندنج قد أصابه الضياع تمامًا، مثلما ضاعت معارف كثيرة قبل اختراع الكتابة، التي كانت قفزة هائلة في تاريخ الإنسان، وهي قفزة حققتها ثورة الاتصال في المجتمعات القديمة.

الدلالة الاجتماعية لعصر الكتابة:

أدى ظهور الكتابة وتطورها في أماكن عديدة من العالم إلى بروز نوعين من القوة للأشخاص المستخدمين لمهارات الكتابة والقراءة، وهما:

1- السيطرة على الطبيعة:

من خلال تدوين اكتشافات علم الفلك Astronomy من جانب المصريين، واستخدامه في التنبؤ بسلوك نهر النيل، وابتكار تقاويم الشهور والسنوات. وحدث الشيء نفسه فيما بعد في مجتمعات (المايا Maya) في هندوراس بأمريكا الوسطى؛ حيث تم تدوين العلاقة بين مواسم الحصاد وحركات الشمس والنجوم، والتنبؤ بمواسم الأمطار، وأفضل أوقات الزارعة والحصاد.

2- السيطرة على الناس:

فمنذ نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد كان المصريون يسجلون انتصارات الملوك والقادة، ويؤرخون للحروب والأحداث السياسية والبيئية، وما تزال موجودة للآن. وحدث الشيء نفسه في مجتمعات (المايا) في هندوراس وفي الصين، وغيرها.

المرحلة الرابعة: عصر الطباعة:

ترتبط بدايات هذه المرحلة بابتكار (جوتنبرج) الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة (أو المتحركة أو المتفرقة) في منتصف القرن الخامس عشر (عام 1445)، وبدء تأثيرها الاجتماعي في القرن السادس عشر. وتعد الطباعة أحد أبرز الابتكارات البشرية في كل العصور؛ حيث أمكن - عن طريق هذا الابتكار - طباعة أعداد كبيرة من نسخ الكتب والصحف، ووصولها إلى أكبر عدد من القراء (المستقبلين) في أسرع وقت، وبجهد وبتكاليف أقل بكثير جدًّا مما كان يبذل في المنتجات المخطوطة (كتب وصحف وغيرها)، التي كانت سائدة قبل ذلك.

إلا أن الأمر المهم في التطور النهائي للطباعة في العالم الغربي، كان هو الوقت الذي حل فيها الورق محل الرق (Parchment) من الجلود عند المسلمين في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث نقل المسلمون استخدام الورق عن الصينيين، ثم وصل إلى غرب أوربا عبر حضارة الأندلس الإسلامية.

ومن تطور الطباعة وانتشارها، ظهرت فكرة الصحيفة في أوربا والعالم الجديد؛ فالصحف الأمريكية ظهرت قبل سنوات عديدة من قيام الولايات المتحدة الأمريكية كدولة .. وإذا كانت الصحف الجماهيرية قد تأخر ظهورها كثيرًا (بعد ثلاثة قرون من اختراع الطباعة)، فإن ذلك ارتبط بتوفر ظروف تسمح بقدر من التمويل وسرعة الطباعة والتوزيع، وعند ذلك ظهرت الصحافة رخيصة الثمن، التي عرفت باسم (صحيفة البنس)؛ إشارة إلى أن ثمنها لا يتجاوز بنسًا واحدًا، وقد حدث ذلك في صحيفة مورننج بوست التي أصدرها هوراس جريلي عام 1933)، في مدينة نيويورك، وحققت نجاحًا كبيرًا، ثم في صحيفة لابرس التي أصدرهما إميل جيراردان في فرنسا عام 1936، ثم انتشرت بعد ذلك في أنحاء العالم.

وفي عام 1909 قال عالم الاجتماع تشارلز هارتون كولي (Charles Harton Cooley) إن هناك أربعة عوامل جعلت هذه الوسائل الجديدة أكثر تأثيرًا من أية عمليات اتصالية في تاريخ الإنسان من قبل، وهذه العوامل هي:

1. القدرة على التعبير، ونقل كم هائل ومتنوع من الأخبار والأفكار والمشاعر.
2. التغلب على الزمن، بتسجيل وحفظ المعلومات.
3. التغلب على المكان، من خلال مرونة وسرعة الحركة.
4. الانتشار؛ بحيث يتيح المعرفة لكل الطبقات في المجتمع.

المرحلة الخامسة: عصر الاتصال الجماهيري:

شهد القرن التاسع عشر معالم ثورة وسائل الاتصال الجماهيرية، التي اكتمل نموها في النصف الأول من القرن العشرين الماضي؛ فقد شهد القرن التاسع عشر ظهور عدد كبير من وسائل الاتصال؛ استجابة لعلاج بعض المشكلات الناجمة عن الثورة الصناعية .. فبسبب التوسع في التصنيع، وزيادة الطلب على المواد الخام، والتوسع في فتح أسواق جديدة خارج الحدود، برزت الحاجة لاستكشاف أساليب سريعة لتبادل المعلومات التجارية، وبالتالي أصبحت الأساليب التقليدية للاتصال لا تلبي التطورات الكبيرة التي يشهدها المجتمع الصناعي، وبذلت محاولات عديدة لاستغلال ظاهرة الكهرباء بعد اكتشافها، وظهرت مخترعات جديدة نتيجة اكتشاف الكهرباء، وفي عام 1824 اكتشف العالم الإنجليزي وليم سترجون (Sturgon) الموجات الكهرومغناطيسية، واستطاع صمويل مورس (Mors) اختراع التلغراف عام 1837 بطريقة (النقط والشرط) "Dots & Dahes"، وتم مد خطوط التلغراف السلكية عبر كل أوربا وأمريكا والهند خلال القرن التاسع عشر، وكان التلغراف عنصرًا مهمًّا في تكنولوجيا الاتصال الإلكترونية.

وفي عام 1876 استطاع جراهام بل (Graham Bell) اختراع التليفون لنقل الصوت إلى مسافات بعيدة. وفي عام 1877 اخترع توماس أديسون (Edison) جهاز (الفونوغراف) الجراموفون (gramoPhone). وفي عام 1887 تم ابتكار (القرص المسطح) "Flat Disk"، الذي يستخدم في تسجيل الصوت. ومنذ عام 1890 بدأ تسويق الفونوغراف كوسيلة شعبية

لتقديم الموسيقى في الأماكن العامة. وفي عام 1895 شاهد الجمهور الفرنسي أول العروض السينمائية، ثم أصبحت السينما ناطقة منذ عام 1926، والمخترع الحقيقي للسينما هولويس لوميير، وقد سجل اختراعه في 13 فبراير 1895. ومن هذا التاريخ أصبحت السينما واقعًا ملموسًا، ولم تمض سنة حتى كانت تغزو العالم كله، وعرفتها مصر في 5 نوفمبر 1896 - كما سيرد ذكره فيما بعد. وفي عام 1896 استطاع العالم الإيطالي جو جليلمو ماركوني (Marconi Juglielmo) اختراع اللا سلكي؛ لنقل الصوت إلى مسافات بعيدة بدون استخدام الأسلاك.

وكل تلك المخترعات السابقة كانت مقدمة صحيحة لظهور الإذاعة؛ حيث أمكن بث الكلمة المنطوقة عبر موجات الراديو (اللا سلكي) سنة 1900، وبذلك أصبحت هناك وسيلة اتصالية جماهيرية مسموعة، اسمها الإذاعة، وكان الألمان والكنديون أول من بدأ في توجيه خدمات الإذاعة الصوتية المنتظمة منذ عام 1919، ثم تبعتهم الولايات المتحدة الأمريكية عام 1920، وعرفت مصر محطات الراديو (الإذاعة) أواخر النصف الثاني من عشرينيات القرن العشرين بعد إنشاء أول محطة عالمية بنحو عشر سنوات.

وفي 21 يوليو 1932 قررت الحكومة المصرية إنشاء محطة رسمية تحل محل المحطات الأهلية، وقد أنشأتها شركة ماركوني .. وبالنسبة للتليفزيون، فقد بدأ تجاريًّا في أمريكا منذ أواخر عام 1923، وفي أول يوليو 1941 بدأت خدمات التليفزيون التجاري في أمريكا، وفي عام 1954 بدأ صنع التليفزيون الملون. وقد افتتح التليفزيون في مصر مساء 21 يوليو 1960 - كما سيأتي بيانه بالتفصيل فيما بعد.

المرحلة السادسة: عصر الاتصال التفاعلي:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين الماضي من أشكال تكنولوجيا الاتصال ما يتضاءل أمامه كل ما تحقق في عدة قرون سابقة .. ولعل أبرز مظاهر تلك التكنولوجيا ذلك الاندماج بين تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية، واستخدامها في تخزين واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشري بأسرع وقت، وفي أقل حيز متاح؛ وبين تكنولوجيا الأقمار الصناعية، التي ساعدت على نقل الرسائل الاتصالية بشتى صورها عبر القارات فورًا.

وقد ظهرت في العهود الماضية الأخيرة ابتكارات عديدة في صناعة الاتصال، مثل: الحاسبات الإلكترونية، والاتصالات الفضائية، وإمكانية الاتصال المباشر بقواعد البيانات،

وظهور وانتشار التليفزيون الكابلي والتفاعلي وخدمات الفيديوتكس، والتلتكست، والفيديو ديسك، ونظم الليزر، والميكروويف، والألياف الضوئية، والاتصالات الرقمية، وخدمات الهاتف المحمول، والبريد الإلكتروني، وعقد المؤتمرات عن بعد ... إلخ.

وبصفة عامة، فقد تطورت وسائل الاتصال من دور التبليغ من شخص إلى شخص، إلى دور التبليغ بين جماعات منظمة، ثم إلى دور التبليغ الجماعي، عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية، مثل: الكتاب والسينما والصحافة والإذاعة والتليفزيون، وغيرها من الوسائل الإلكترونية التفاعلية، بيد أن الفرق بين وسائل الاتصال فيما مضى ووسائل الاتصال في العصر الحديث، يكمن فيما توصلت إليه المدنية الحديثة من اختراعات، غيرت شكل العمل الاتصالي؛ مما جعل الدول تهتم اهتمامًا كبيرًا بالاتصال، وتضع له الخطط، وتوفر له الإمكانات المادية والمعنوية؛ للنهوض به. وأصبح الإنسان لا يستغني عن وسائل الاتصال؛ لأنها المصادر الرئيسة التي يستقي منها المعلومات والأخبار، ويشبع عن طريقها رغبته في حب الاستطلاع، والتعرف على أحوال وبيئات الأمم المحيطة به، وبذلك يستطيع أن يتكيف مع الظروف، ويطمئن إلى حاضره ومستقبله، فيعيش بذلك عيشة سوية.

حيث توجد مؤثرات كثيرة، تتسابق بسرعة وفن وعلم نحو هدف واحد، هو الإنسان، والتأثير على عقله .. فمنذ أن يستيقظ المرء ويفتح عينيه في فراشه في الصباح إلى أن يغمض عينيه في فراشه في المساء، وهو هدف لكل وسائل الاتصال؛ فالكتب أمامه، وصحف الصباح في متناول يده، والإذاعة تتحدث إليه .. فإذا خرج إلى الشارع يجد الملصقات، ويجد الناس يتحدثون إما عن آخر الأخبار، وآخر الشائعات وآخر (النكت)، أو يتقولون على شخص ما أو يغتابونه بالهمس أو الدردشة، أو يرى معارض الفنون بأشكالها وأنواعها المختلفة، وفي وقت فراغه قد يسمع محاضرة أو مناقشة، أو يتابع فيلمًا سينمائيًّا، أو يشاهد مسرحية .. وإذا عاد إلى منزله، فإنه قد يقرأ مجلة أو جريدة بالمساء أو كتابًا للتسلية قبل نومه، أو يشاهد برامج التليفزيون أو الفيديو، ثم ينام بعد أن شاهد وسمع وقرأ كل ما وصل إليه العقل البشري من مؤثرات للاتصال بعقله والتأثير عليه.

فإنسان العصر الحاضر يعيش في ثورة عارمة، هي ثورة الاتصال الجماهيرى التي يطلق عليها بالإنجليزية (Mass Communication)، ووسائل الاتصال كثيرة ومتنوعة، ولكل

وسيلة منها طبيعة خاصة، تميزها عن الوسائل الأخرى، ويمكن تقسيم هذه الوسائل إلى ما يلي:

1- الوسائل المطبوعة:

وتشتمل على: الكتب والجرائد والمجلات والدوريات والنشرات والكتيبات.

2- الوسائل البصرية:

وتضم المعارض واللافتات والملصقات، وغير ذلك من الوسائل التي تعتمد على حاسة النظر وحدها.

3- الوسائل السمعية:

وتشمل الإذاعة والتسجيلات الصوتية، وغيرها من الوسائل التي تعتمد على عنصر الصوت وحده.

4- الوسائل السمعية والبصرية:

وتضم التليفزيون والسينما والمسرح، وغير ذلك من الوسائل التي تجمع بين الصوت والصورة، سواء أكانت صناعية أو طبيعية.

5- وسائل الاتصال التفاعلية:

التي برزت في النصف الثاني من القرن العشرين الماضي؛ نتيجة اندماج تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية، وتكنولوجيا الأقمار الصناعية، التي ساعدت على نقل الرسائل الاتصالية بشتى صورها فورًا عبر القارات، وغير ذلك من الوسائل الاتصالية التفاعلية الحديثة.

ولكل واحدة من هذه الوسائل الاتصالية مجال معين، تستخدم فيه بنجاح، وقد لا تصلح في مجال آخر. كما أن لكل وسيلة تأثيرها الخاص في نوعيات معينة من الجماهير، قد لا تؤثر في نوعيات أخرى من الجماهير، إلا أنه إذا اجتمعت الصورة مع الصوت والحركة في وسيلة واحدة، كان لذلك وقع في النفوس، يفوق استخدام إحداها فقط بدرجة كبيرة، وسوف يتضح لنا ذلك من خلال صفحات هذا الكتاب .. الذي سنتناول فيه بإذن الله - بشيء من

الاستفاضة - أبرز هذه الوسائل الاتصالية الجماهيرية التقليدية والتكنولوجية الرقمية والتفاعلية، وهي: الكتاب والصحافة؛ باعتبارهما وسائل اتصال مطبوعة، ثم السينما، والإذاعة، والتليفزيون؛ باعتبارها وسائل اتصال مسموعة ومرئية .. وأخيرًا نتعرض لوسائل الاتصال التفاعلية الحديثة.

ثم نستعين بالله ونستهدي به سبحانه وتعالى، ونبدأ في الباب الثاني بفصليه الثالث والرابع، مع وسائل الاتصال المطبوعة التقليدية، بالتركيز على الكتاب التقليدي، والصحافة التقليدية ..